مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد 08 العدد: 02 جـــوان (2024) ص 441/ 449

نظرات في الشعر الجزائري الحديث(الشعر الإصلاحي والسياسي نماذجا)

Perspectives on modern Algerian poetry (Reformist and political poetry as examples)

عقبة جلول بن سلطان*
جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة(الجزائر)
okba.djbs@univ-dbkm.dz

صالح الدين ملفوف
جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة (الجزائر)
melfouf.2012@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/10./18
تاريخ القبول:
2024/05/29

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الشعر
- ✓ الإصلاح
- ✓ السياسة
- ✓ الوطن

الملخص

الشعر لون أدبي يحيا بحياة الأمة العربية، ويتطور بتطورها، فهو من وسائل التعبير التي بقي العرب محافظين عليها رغم ما حلّ بالعربية من أزمات ومحن كادت تعصف بها، وقد مرَّ بكثير من المراحل التي كان لها الأثر البالغ في حدوث عدة تغيرات في شكله ومضمونه وأغراضه، وقد تزامنت النهضة الشعرية الجزائرية الحديث مع الحركة الإصلاحية والسياسية، وشكل الشعر سلاحا قويا بيد رواد الإصلاح والسياسة في الجزائر من أجل خدمة المصالح العليا للوطن.

ونسعى من خلال هذا البحث إلى إبراز بعض الجوانب المتعلقة بالشعر الإصلاحي والسياسي في الجزائر، وكيف أسهم في إحياء الأمة الجزائرية، لتحرير الوطن.

Article info

Received
18/10/2021
Accepted
29/05/2024

Keywords:
- ✓ *Poetry*
- ✓ *reform*

Abstract

Poetry is a literary color that lives the life of the Arab nation, and develops with its development. It is one of the means of expression that the Arabs have maintained despite the crises and tribulations that have afflicted the Arabic language. The modern Algerian poetic renaissance coincided with the reform and political movement, and poetry constituted a powerful weapon in the hands of the pioneers of reform and politics in Algeria in

*المؤلف المرسل

order to serve the higher interests of the country. liberation of the country.	✓ *politics* ✓ *homeland*

1. مقدمة:

يرى كثير من النقاد من بينهم الدكتور **عبد الملك مرتاض** أن الفترة الزمنية الممتدة بين سنتي 1920م و1956م- وهي الفترة التي تأسست فيها الأحزاب السياسية، والمنظمات، والجمعيات الثقافية، والسياسية، والدينيّة- هي نفسها الفترة التي انبعث فيها الشعر الجزائريّ العمودي، على النحو الذي بلغ معه المستوى الفني المطلوب لدى بعض الشعراء على الأقل، وظهرت أيضا الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وظهرت الصحافة الوطنية التى بلغت مستوًى رفيعا في الكتابة والتحليل، كما ظهر خلال هذه الفترة الشعر الجزائري الحديث بمعناه الدقيق، وكان ذلك بوجود بعض المحاولات في هذا المضمار، فقد نشر **أبو القاسم سعد اللّه** قصيدته التاريخية **"طريقي"** في مارس 1955م، كما أن هذه المرحلة تُعَدُّ الفترة الأولى في تاريخ الجزائر التي بدأ فيها تأسيس المدارس والمعاهد بالمعنى الحديث، على غرار معهد ابن باديس، الذي تأسس بقسنطينة سنة 1947م، فأنجبت هذه الفترة أشهر الشعراء وأبرزهم على غرار **محمدالعيد آل خليفة** ، و**مفدي زكريا** ، و**محمد الهادي السنوسي** ، و**سعيد الزاهري** ، و**الطيب العقبي**، و**إبراهيم أبو اليقظان**، و**الربيع بوشامة**، و**أحمد سحنون**، وغيرهم كثير.(مرتاض، 2008)

1.1. الإشكالية:

كيف أسهم الشعر الجزائري الحديث في دفع الحركة الإصلاحية والتحررية؟ وما هي أهم المحاور والقضايا التي عالجها؟

2.1. أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في بيان واقع الجزائر المتدهور جراء السياسة الفرنسية القائمة على التجويع والتجهيل والاضطهاد، وكيف اتجه المثقفين عموما والشعراء خصوصا إلى معالجة القضايا الكبرى للأمة، مثل تحرير الوطن من الاستعمار، وتنقية العقيدة الإسلاميّة من الشعوذة والخرافات، والدّفاع عن اللغة العربيّة واتخاذها لغة رسميّة للجزائريّين، وهي المبادئ العليا التي كانوا يتمسّكون بها، ويضحون لأجلها، ولم يخشوا في ذلك من سطوة المستعمر وقهره.

2. ملامح الشعر الجزائري الحديث

تميَّز الشعر الجزائري في الفترة التي سبقت الحركة الإصلاحية والسياسية بالبكاء، والعويل، والشكوى من ويلات الدهر، والضجَر من غفلة الشعب، وغطيطه في سبات عميق، والنعي على الاستعمار الفرنسي وما اضطهد به الجزائريّين(مرتاض، 2008)، وهذا يبين لنا مدى الارتباط الوثيق بين المجتمع والأدب، فالأديب يعتبر لسانا ناطقا باسم مجتمعه، وهذه الظروف هي التي مهدت الطريق لظهور التيارات الشعرية الإصلاحية والقومية الوطنية، ويبيّن

الأستاذ أبو القاسم سعدالله هذه النقلة الجذرية في الشعر الجزائري بقوله: «فبدل الغوثيات، والتوسلات، ومدح شيوخ الزوايا، جاء شعر التحرر من البدع والخرافات، والدعوة إلى الإسلام الصحيح والتضامن، وقد كان شعر الغزل من ضحايا هذا الاتجاه، فقد أصبح يُنظر إليه على أنه شعر العبث واللهو، وذلك غير مقبول في وقت كانت البلاد في معاناة وشدة» (سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2007، صفحة ج8، ص:192)، هذه الوقائع والحقائق التاريخية تكرس أن الشعراء في تلك الحقبة اعتنوا أكثر بالقضايا الوطنية على حساب التنويع الفني، والنظم في مختلف الأغراض، خصوصا وأن روادها كان جلهم من الإصلاحيين، ولهذا هُمِّشت المواضيع العاطفية كالغزل، والتشبيب، وغيرها من الأغراض التي لا تليق بمقام رجال الإصلاح، ولا تتناسب مع ما يقومون بنشره في الناس، من الدعوة إلى تجديد الدين، والأخلاق الإسلامية، ومحاربة الانحلال الخلقي الذي كان الاستعمار يهدف إلى نشره في أوساط المجتمع، وفي هذا الصدد يقول الإمام ابن باديس(ناصر، 1985):

وَدَعْ غَزَلًا لِلْغَانِيَاتِ فَطَالَمَا سَلَا عَنْ وِصَالِ الغَانِيَاتِ نَبِيلُ

فَدَيْدَنِي الآدَابُ وَالعِلْمُ مَقْصِدِي وَلَا زِلْتُ فِي نَيْلِ المَعَالِي أَجُولُ

وهذا يبين لنا نظرة رواد الإصلاح إلى هذه الأغراض، وأنها من سفاسف الأمور التي تزري بصاحبها وتعيقه عن إدراك المعالي، وفي المقابل، نجدهم يدعون إلى السعي لتحصيل العلم النافع الذي تنال به المعالي، بل أبعد من ذلك فقد كان بعضهم يعتبر أن الاشتغال بالنظم في هذا المضمار يعتبر استهتارا قبيحا يتنافى مع ما كانت تعانيه البلاد من ويلات الاحتلال، فنجد اللقاني بن السائح يقول(ناصر، 1985، صفحة 77):

أَلَا فَدَعْ التَّغَزُّلَ فِي غَوَانٍ فَتِلْكَ طَبِيعَةُ المُسْتَهْتِرِينَا

فَمِنْ صَوْتِ البِلَادِ لَنَا نِدَاءٌ يَكَادُ المَرْءُ يَسْمَعُهُ أَنِينَا

ولهذا، يمكننا أن نخلص إلى القول بأن هذه الأغراض الشعرية الوجدانية كانت مهملة إلى حد كبير، وهذا لا يعني انعدامها، وإنما المقصود أنهم أعطوا الأولوية لواقع الأمة ومصيرها، وآثروه على ما مجرد الصناعة الشعرية، والتفنن في تنويع الأغراض، وهذا ما يثبت أن الملامح العامة للشعر الجزائري المعاصر، ويبرهن انضواءه تحت اتجاهين شعريين بارزين هما:

- الشعر الديني الإصلاحي.
- الشعر السياسي وخاصة التحرري.

3. الشعر الإصلاحي:

1.3. مفهوم الإصلاح ومجالاته عند جمعية العلماء

لقد ارتبط مسمى "الإصلاح" في الجزائر بجمعية العلماء المسلمين، وهذه حقيقة وحتمية تاريخية، فقد ضمَّت بين أعضائها ثلة من الفقهاء، والأدباء، والشعراء، الذين أخذوا على عاتقهم مهمة إصلاح ما أفسده الاستعمار، والذي

يهمنا في دراستنا هذه، هو الدور الذي قام به الشعراء الذين سخَّروا شعرهم لهذه الغاية النبيلة من أجل تحرير وبناء الفرد الجزائري وترسيخ هويته وشخصيته الأصيلة.

أعطى المصلحون اهتماما بالغا للإصلاح نظرا للفساد الذي كان سائدا في البلاد بسبب الاحتلال الفرنسي، فعمَّ بفساده جميع مجالات الحياة الدينية والخلقية والاجتماعية وغيرها، ولهذا ركزت الجمعية على جملة من المواضيع التي من شأنها أن تُسهم في إنجاح الخطة التي رسمتها للخروج من هذه الأزمة التي شلت حركتها، وأهم تلك المواضيع: التعليم العربي، والحضارة الإسلامية، ونشر أمجاد الماضي من أجل بعث الأمة وإحيائها، واستنهاض العالم الإسلامي ومدح رجاله، والمشاركة في النهضة العربية، ويدخل في ذلك توجيه الخطاب للأفراد وللشعوب والدول(سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2007، صفحة ج8، ص:232).

إن المقصود بالإصلاح في هذا المضمار أعم من أن يكون دينيا بحتا بالمفهوم الذي يتبادر إلى كثير من الأذهان، فنجد البشير الإبراهيمي يوضح أنه من الغلط أن تعتبر جمعية العلماء جمعية دينية ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه المعروف، من تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس بعض العلوم الشرعية، واللغوية، وأنه لا علاقة لها بواقع الناس في حياتهم، وما يتصل بشؤونهم الاجتماعية والسياسة والاقتصادية، فيقول: «ومن الغلط ما رماها به بعض مرضى العقول وصرعى الجهل من أنها خرجت عن مدارها حين زجت نفسها في بعض شؤون الحياة غير الدين، والحقيقة أن هذه الجمعية تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني وللإصلاح الاجتماعي، فالإسلام دين واجتماع.»(الإبراهيمي، 1997، صفحة ج 1، ص282)، وتعتبر هذه النظرة الشمولية لمفهوم الإصلاح في حد ذاتها مشروعا حضاريا متكاملا، فالإنسان تتجاذبه عدة عوامل تؤثر في سلوكه سلبا وإيجابا، وليس آلة تعطى نفس ردة الفعل دائما، فالسلوك الإنساني خاضع لجملة من الدوافع الداخلية والخارجية، والجانب الديني فيها وإن كان أساسا فيها إلا أنه ليس هو كل شيء، بل إن الإصلاح الديني نفسه لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي، فالمسلم «لا يكون مسلما حقيقيا مستقيما في دينه حتى تستقيم اجتماعيته؛ فيحسن إدراكه للأشياء، وفهمه لمعنى الحياة، وتقديره لوظيفته فيها، وعلمه بحظه منها، وينضج عقله وتفكيره، ويلم بزمانه وأهل زمانه، ويتقاضى من أفراد المجموعة البشرية ما يتقاضونه منه من حقوق وواجبات، ويرى لنفسه من العزة والقوة ما يرونه لأنفسهم، وتربط بينه وبينهم رابطة الأخوة والمساواة والمصلحة لا رابطة السيادة عليه والاستئثار دونه.» (الإبراهيمي، 1997، صفحة ج1، ص282)، وهذه المحاور الكبرى للإصلاح كما لخصها الإبراهيمي هي التي دار عليها قطب رحى الشعر الإصلاحي، فكان الشعراء منهم يحللون هذه القضايا ويعطونها تفسيرا دينيا مستمدا من التربية والتنشئة التي تلقوها من بداية تكوينهم العلمي والمعرفي، و«الدارس للأدب الجزائري الحديث يلحظ أن الشاعر في هذه الفترة كان يتأمل واقع المجتمع وما انتشر فيه من أمراض، محاولا إصلاحه من زاوية الدين، فتراه يذكر في كل مناسبة بأن الرجوع إلى القيم الروحية واقتفاء أثر السلف الصالح هو سبيل النجاة» (الركيبي، 1980، صفحة 36)، فالنظرة الإصلاحية تنبثق من التعاليم الإسلامية في مختلف القيم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأخلاقية، ويلخص العلامة الإبراهيمي المنهج العملي

للمصلحين بقوله: «تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال، وإن تحرير العقول لأساس لتحرير الأبدان، وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا.» (الإبراهيمي، 1997، صفحة ج3 ص:56) فالإصلاح في نظر علماء الجمعية مشروع حضاري شامل يتناول المفاهيم، والقيم، والأفكار، والعادات، والتقاليد، والافراد، والجماعات، ويمس كافة المجلات الاجتماعية.

2.2. خصائص الشعر الإصلاحي

كان شعراء الإصلاح حريصين كل الحرص على الظهور بالمظهر الصالح، فالمصلح لا بد أن يكون صالحا في نفسه أولا حتى يستجيب الناس لدعوته، والصلاح عند الشعراء لا يقتصر على المجال الخلقي فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الصناعة الشعرية نفسها، من نقاوة اللغة وسلامتها، وتهذيب العبارات، وانتقاء الألفاظ الموحية غير المتكلفة أو الغامضة، فهذه القيم تقرب الفهم لعامة الناس لأنها توجه لهم جميعا، لا للخاصة منهم، فالغرض من الشعر الإصلاحي التوجيه والتربية وإثارة الشعور بالمسئولية الملقاة على عاتق الفرد والمجتمع، فالشاعر الإصلاحي لا يسيطر عليه جنون الشعر، ولا ينساق وراء الأخيلة، لأن غرضه تحريك المجتمع وجعله يتجاوب مع الواقع والأحداث.

وحتى نقف على نظرة هؤلاء المصلحين للشعر والشعراء، ونرى المعايير التي بها يحكمون على الشعر والشاعر، نلقي اطلالة على قطعة من مقال نقدي وصف فيه الإبراهيمي محمد العيد آل خليفة وعلّق على شعره وشاعريته وهو من أبرز شعراء هذا الاتجاه، فقال عنه: «شاعر الشمال الإفريقي بلا منازع، شاعر مستكمل الأدوات، خصيب الذهن، رحب الخيال، متسع جوانب الفكر، طائر اللمحة، مشرق الديباجة» (الإبراهيمي، 1997، صفحة ج3 ص:369)، وهذه الأحكام النقدية في حقيقتها لا تخرج عن السياق العام للنقد العربي القديم، فهي تذكرنا بأحكام النقاد القدماء، الذين يحكمون على الشاعر حكما استقرائيا من خلال معرفته بالمادة الشعرية للشاعر، ثم يصف شعره بقوله: «متين التركيب، فحل الأسلوب، فخم الألفاظ، محكم النسج ملتحمه، مترقرق القوافي، لبق في تصريف الألفاظ وتنزيلها في مواضعها، بصير بدقائق استعمالات البلغاء، فقيه محقق في مفردات اللغة علما وعملا، وقاف عند حدود القواعد العلمية، محترم للأوضاع الصحيحة في علوم اللغة كلها» (الإبراهيمي، 1997، صفحة ج3 ص:369)، وهذه الأوصاف تبين أن الشعر الإصلاحي شعر تقليدي بأتم المعنى، وهي لا تخرج عن الشروط التي وضعها النقاد الأوائل مثل **قدامة بن جعفر والآمدي وابن قتيبة** وغيرهم، ثم ينتقل إلى وصف الجانب الروحي للشاعر الذي يستمد منه شاعريته فيصفه بقوله: «إيمانه وتقواه وتدينه وتخلقه بالفضائل الإسلامية وروح الصدق المتفشية في شعره إنما هي من آثار صدق الإيمان وصحة التخلق، رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها، وله في كل ناحية من نواحيها، وفي كل طور من أطوارها، وفي كل أثر من آثارها القصائد الغر، والمقاطع الخالدة» (الإبراهيمي، 1997، صفحة ج3 ص:369)، وبهذا يتأكد القول لدينا بأن الاتجاه الإصلاحي تقليدي شعرا ونقدا، وأن المعايير المتبعة في ذلك لا تخرج عموما عن هذا الإطار(سعدالله، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث، 1961).

وأما المضامين والأغراض الشعرية، فقد كانت متنوعة في مختلف الأغراض التقليدية من مدح ورثاء وهجاء وغيرها، غير أن المحاور الأبرز التي نالت أوفر الاهتمام هي: الإسلام، والعروبة، الوطن، ويلخص لنا الطيب العقبي هذه النظرة **بقوله**(ناصر، 1985، صفحة 77):

دَعْ ذِكْرَى سَلْمَى وَسُعَادْ وَانْهَضْ لِإِصْلَاحِ البِلَادْ

وإصلاح البلاد في نظرهم إنما يكون بإصلاح هذه الثلاثية المقدسة؛ الدين واللغة والوطن، ومما قاله محمد العيد في هذه القضايا، قوله في الدعوة للتمسك بالإسلام(الخليفة، 2010، صفحة 16):

إِنَّمَا الدِّينُ فِي المَبَادِئِ رَأْسُالمجْدِ مِنْهَا وَغَيْرُهُ أَذْنَـابُ

وقال في **العروبة**(الخليفة، 2010، صفحة 208):

إِنَّ العُرُوبَةَ أُمُّنَا الكُبْرَى الَّتِي فِي الأُمَّهَاتِ نَظِيرُهَا لَا يُوجَدُ

وقال في **الوطنية**(الخليفة، 2010، صفحة 208):

نَحْنُ رَغْمَ الطُّغَاةِ فِي الأَرْضِ أَحْرَارٌ وَإِنْ خَالَنَا الطُّغَاةُ عَبِيدَا

4. الشعر السياسي:

ويُقصد به الشعر الذي تناول القضايا السياسية وأنظمة الحكم، وهو متعدد الأنواع والأغراض، فـ: «منه ما يُقصد به التذمر من الأوضاع السياسية، أو الاضطهاد، ولم يظهر الشعر السياسي الوطني الصريح إلا بعد الحرب العالمية الأولى، ونقصد بذلك تناول الشاعر لقضية الحرية والاستقلال، والوحدة الوطنية، والإشادة بالعرب والبربر، وتاريخ الأمجاد»(بن عبدالله، 2003)، ولقد اهتم الشعراء بالسياسة كثيرا، بل كان بعضهم من السياسيين المحنكين كما كان شأن الأمير عبد القادر، غير أن الشعر السياسي في الجزائر كاد يختفي بعد فشل المقاومة الشعبية، واستسلام أكثر الجزائريين للأمر الواقع، حتى اعتقدوا أن هذا الاستعمار يستحيل مقاومته.

ولكن مع ظهور حركة الأمير خالد السياسية، وحركة ابن باديس الإصلاحية، ثم ظهور الأحزاب والجمعيات، أدى ذلك إلى موضوعات وطنية وعربية وإسلامية قاموس الشعراء، ثم برزت في الساحة قضايا العالم الإسلامي الذي كان يئن تحت وطأة الاستعمار، كقضية ليبيا، وفلسطين، والعراق، فتجند الشعراء في صفوفها طوعا منافحين عن أوطانهم بكل ممكن، وهذا ما يبين لنا مدى تجاوب الشعراء مع الأحداث والحركات السياسية، وعلى سبيل المثال **فمفدي زكريا** -وهو أبرز رواد هذا الاتجاه في الجزائر- كان مناضلا نشطا في صفوف جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، وعضوا حزب نجم شمال إفريقيا، وعضوا في حزب الشعب، وعضوا في حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، والمتصفح لشعره -وهو كثير متنوع الأغراض- يجد أن الموضوعات المتعلقة بالوطن، والأمجاد، والحرية، والوحدة الوطنية والمغاربية والعربية، والدعوة للأخلاق والقيم، شكّلت الحيز الأكبر من منتوجه الشعري، ونجده أيضا بنزعته التحررية رافضاللتبعية،شديدالصراحة والجهربآرائهالتييؤمن بها (بن عبدالله، 2003)، وقد خلّف ثروة شعرية هائلة كانت بمثابة الديوان الحافظ للمآثر الوطنية، نذكر منها:

- اللهب المقدس، صدرت طبعته الأولى سنة 1961م.
- تحت ظلال الزيتون، صدرت طبعته الأولى عام 1965م.
- اللهب المقدس، صدرت طبعته الأولى في عام 1973م.
- من وحي الأطلس، صدر سنة 1976م.
- إلياذة الجزائر، وهي أهم دواوينه، تتكون من أكثر من ألف بيت، دارت مواضيعها حول حضارة الجزائر وتاريخها ومقاوماتها لمختلف المستعمرين المتتاليين عليها.

لقد كان الشعراء يحملون آلام وطنهم، ولم يدخروا في سبيله شيئا ولم يخافوا من بطش الاستعمار وقهره، حتى ذاقوا بسبب ذلك أصنافا من العذاب، فلم يُثنهم ذلك بل زادهم إصرارا وتمسكا بقضيتهم ومبادئهم، واستمروا في قول الحق حتى في أصعب الظروف.

اتسم الشعر السياسي بالصراحة، والمواجهة، وحدة اللهجة في مخاطبة الاستعمار، وأصبح إيمان الشعراء بقضيتهم قويا، وتفاؤلهم بنجاحها كبير لدرجة تحدي القوة الغاشمة للاحتلال، الذي طالما اعتقد الجزائريون أنه يستحيل عليهم هزيمته، ولكن بعد اندلاع ثورة التحرير، وانتصار المجاهدين في كثير من المعارك، وما حصل لفرنسا من ارتباك واضطراب في مواجهتهم، أعاد فتح الأمل، وجدد النخوة الوطنية، وشاعر السياسة في الجزائر مفدي زكريا يصور لنا ذلك المشهد ويصرخ من مفاخرا بالثورة، ومتحديا للاستعمار قائلا (زكريا، 2007، صفحة 41):

نَطَقَ الرَّصَاصُ فَمَا يُبَاحُ الكَلَامُ وَجَرَى القِصَاصُ فَمَا يُتَاحُ مَلَامُ

السَّيْفُ أَصْدَقُ لَهْجَةً مِنْ أَحْرُفٍ كُتِبَتْ فَكَانَ بَيَانُهَا الإِبْهَامُ

وهذه المفضالة بين صوت الرصاص وصدق لهجة السيف وبين الكلام مع الاستعمار والمطالبة بالحقوق عن طريق المفاوضات أصبحت عقيدة راسخة في أذهان الجزائيين، خصوصا بعد مجازر 08 ماي 1945م، حيث أيقنوا أن الاستعمار لن يهبهم الحرية ولو ساندوه، فجزموا أن ما أُخد بالقوة فلن يُسترد إلا بها، ليعود بنا إلى أيام عز المسلمين ليذكرنا بحماسة **أبي تمام** التي خلدت مآثر **المعتصم** لما فتح **عمورية** حيث يقول في مطلعها(أبوتمام، 1900):

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ

بِيضُ الصَفَائِحِ لَا سُودُ الصَحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِ وَالرِّيَبِ

فتلك الظروف أسهمت في اتخاذ الشعر السياسي هذا المنحى التصريحي المتحدي، فقد كان الشعراء على دراية تامة لما تخطط إدارة الاستعمار من إلهاء الشعب بالألاعيب السياسية، ومخادعتهم عن طريق إنشاء الأحزاب المتناحرة فيما بينها من أجل الانتخابات النيابية والحظوظ المادية الدنيئة التي كان يراها المصلحون متاجرة مكشوفة بدماء الشعب الجزائري، ولذلك شنوا حربا لا هوادة فيها على هذا الصنف من المتخاذلين البائعين لقضية وطنهم، المفككين لوحدته عن طريق الحزبية والنيابة في المجالس الفرنسية بحجة المطالبة بالحقوق، ليتصدى لهم الشعراء

ويصفوهم بما يستحقون من الذم، ويعددون مظاهر تخاذلهم، ويبينون ما آلت إليه البلاد بسبب غبائهم، وانخداعهم، وانسياقهم في سياسة الاستعمار، ويوضح لنا مفدي زكريا مشهدا ساخرا يتهكم فيه على هؤلاء المحتالين، فيقول(زكريا، 2007، صفحة 227):

وَفِي الجَزَائِرِ نَصَّابُونَ هَمُّهُمُ عَلَى الدَّرَاهِمِ مَقْصُورٌ وَمَحْدُودُ
وَلِلزَّعَامَةِ دَجَّالُونَلَيْسَ لَهُمُ مِنَ الزَّعَامَةِ إِلَّا الخَمْرُ والغِيدُ
وَفِي المَجَالِسِ أَصْنَامٌ تُحَرِّكُهَا يَدُالمُعَمِّرِتَحْمِيهَاالتَّقَالِيدُ
وَفِي الوَظَائِفِ أَخْشَابُ مُسْنَدَةٌ لَا يَسْتَجِيبُونَ لِلْحُسْنَى إِذَا نُودُوا
وَفِي الثِّيَابِ ذِئَابٌ لَيْسَيُشْبِعُهَا إِلَّا دَمُ الشَّعْبِ مَسْفُوحٌ وَمَصْفُودُ

ثم يبين المعنى المطلوب للسياسة وأن أحق من قام بها على حقيقتها الملتزمة بقضايا الأمة إنما هي جمعية العلماء المسلمين، فيقول(زكريا، 2007، صفحة 228):

وَمَا الـزَّعَـامَةُ أَقْـوَالٌ وَشَـقْـشَـقَـــةٌ إِنَّ الزَّعَامَةَ إِصْلَاحٌ وَتَشْـيِيدُ
وَمَا النِّضَالُ احْتِجَاجَاتٍ عَـــلَى وَرَقٍ إِنَّ النِّضَالَ كَفَاءَاتٌ وَمَجْهُـودُ
جَـمْعِيَّةَ الـعُلَمَـاءِ الـمُسْـلِمِينَ وَمَـنْ لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكِ اليَوْمَ مَنْشُودُ؟

وهكذا كان الشعر السياسي يلتزم أشد الالتزام بقضايا الأمة المصيرية، ويصحح المفاهيم الخاطئة، ويكشف الألاعيب الدنيئة للاستعمار وأذنابه، ويتقاطع في كثير من النقاط مع الحركة الإصلاحية التي كانت تنادي بها جمعية العلماء المسلمين.

ولم يقتصر الشعر السياسي الجزائري في موضوعاته على ما يتعلق بالجزائر فحسب، بل تجاوز ذلك إلى الاهتمام بمختلف القضايا الدولية خصوصا ما يتعلق بالوطن العربي، الذي لم تكن حاله أحسن من حال الجزائر، كما توجه أيضا لمختلف الهيئات الدولية نقدا وانتقادا، وبيانا لتآمرهم على الشعوب الضعيفة، بحجة نشر الحضارة والديموقراطية وغيرها من الشعارات، كما قال مفدي زكريا(زكريا، 2007، صفحة 221):

أُكْذُوبَةُ العَصْرِ أَمْ سُخْرِيَةُ القَدَرِ هَذِي التِي أُسِّسَتْ فِي صَالِحِ البَشَرِ
مَا لِلدِّعَايَاتِ لَا تَنْفَكُّ صَاخِبَةً فِي الأَرْضِ تَغْمُرُهَا بِالإِفْكِ وَالخُورِ
وَمَا لَهُمْ نَسَبُوا لِلْعَدْلِ مُجْتَمَعًا أَمْرُ الضِّعَافِ بِهِ فِي كَفِّ مُقْتَدِرِ
سُوقٌ يُبَاعُوَيُشْتَرَى فِي مَعَابِرِهَا حَقُّ الشُّعُوبِ لِنَصَّابٍ وَمُحْتَكِرِ

ثم يقول مجيبا لهم:

لَا نَرْتَجِي العَدْلَ مِنْ قَوْمٍ سَمَاسِرَةٍ خَيْرُ البَرِيَّةِ مِنْهُمْ غَيْرُ مُنْتَظَرِ
مَصِيرُنَا بِالدَّمِ الغَالِي نُقَرِّرُهُ فِي مَحْفِلِ المَوْتِ لَا فِي عَقْدِ مُؤْتَمَرِ

الخاتمة:

لقد رسم الشعر السياسي طريقه في خدمة وطنه متأثرا بالمبادئ الإصلاحية التي مهد ابن باديس الطريق لها، ليتحول إلى سلاح في مواجهة الاستعمار، بتعبئة الشعب، واستنهاض همته، وتعريفه بنفسه، وبتاريخه، وبأمجاده، ولم يعد الشعر السياسي هزيلا كما كان من قبل، بل أصبح متحديا لبطش فرنسا ومن يطالعالأناشيد الوطنيةلابن باديس ومفدي زكريا، و وغيره ما من الشعراء فإنه سيصل إلى نتيجة حتمية وهي أن الشعر الجزائري الحديث قد خرج من التلميح إلى التصريح، ومن الضعف والخفاء إلى المواجهة والقوة، وبذلك تعاضد الشعر الإصلاحي والشعر السياسي ليشكلا معا نهضة وثورة فكرية أنجبت الثورة المسلحة فيما بعد.

قائمة المراجع:

قائمة المراجع:

- أبو القاسم سعدالله. (1961). لبالبب. القاهرة: دار المعارف.
- أبو القاسم سعدالله. (1961). محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث. القاهرة: دار المعارف.
- أبو القاسم سعدالله. (2007). تاريخ الجزائر الثقافي. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.
- أوس بن حبيب أبوتمام. (1900). ديوان أبي تمام. القاهرة: نظارة المعارف العمومية.
- بلقاسم بن عبدالله. (2003). مفدي زكريا شاعر مجد الثورة حوارات وذكريات، ،. الجزائر: دار هومة.
- عبد الله الركيبي. (1980). ، الشعر الديني الجزائري الحديث. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- عبد الملك مرتاض. (08 05، 2008). جريدة الاتحاد الإماراتية. تاريخ الاسترداد 05 03، 2019، من www.alittihad.ae: www.alittihad.ae
- محمد البشير الإبراهيمي. (1997). آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- محمد العيد الخليفة. (2010). الديوان. عين مليلة: دار الهدى.
- محمد ناصر. (1985). الشعر الجزائري الحديث. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- مفدي زكريا. (2007). اللهب المقدس. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.